

كلمة التحرير: في لزوم ما يلزم من الفعل الثقافيّ

إذا أرت أن تزرع لسنة فزرع قمحا. وإذا أرت أن تزرع لعشر سنوات فزرع شجرة.
أما إذا أرت أن تزرع لمئة سنة فزرع إنسانا.

مثل صينيّ

يُعدُّ الفعلُ الثقافيّ، والاشتغال بترقية الوعي وتهذيب الأذواق أحد أسس الرئيّسيّة لهيضة الشّعوب وتقدّمها. وهو ما يؤكّده استقراء تاريخ الأمم والحضارات عبر التّاريخ. ولئن ذهبت النظريّات الماديّة إلى القول بأنّ الأسس الماديّة/الاقتصاديّة هي التي تصنع الوعي، فإنّها تقرّ، في الآن ذاته، بأنّ البؤس الماديّ وحده غير كاف لخلق فكر ثوريّ، بل لا بدّ من أن يتبلور وعي بهذا البؤس. من هنا تتأكّد فاعليّة العامل الثقافيّ في تغيير الأوضاع وصنع مصائر الأمم. وقد بات من المعلوم على نطاق واسع أنّ الثراء الماديّ عند بعض الشّعوب لم يصنع منها شعوبا متقدّمة، لأنّ ذلك الثراء لم يواكبه تطوّر في الدّهنيات. وفي التّاريخ المعاصر لبعض الأمم دليل على التلازم بين الرقيّ الثقافيّ والحضاريّ من جهة، والقدرة على تجاوز أعتى المحن وأشدّها تدميرا من جهة أخرى، ويكفي دليلا على هذه الحقيقة استحضر التجريبتين الألمانيّة واليابانيّة بعد الحرب الكونيّة الثّانية.

وقد يذهب في ظنّ القارئ المتعجّل أنّ المقصود بالفعل الثقافيّ ما هو دارج من "شحن" إيديولوجيّ تستسهله أنظمة وأحزاب وتيارات سياسيّة ما، فتقصّف به العقول ليل نهار... تحسب أنّها تحسن صنعا، والأمر على خلاف ذلك تماما، فالفعل الثقافيّ الذي نقصده هو ذلك العمل الهاديّ الرّصين الذي ينصرف إلى بناء إنسان جديد على أسس قيمية وجماليّة وروحيّة وذهنيّة تواكب العصر، وتدفع نحو العمل والإبداع وقبول الاختلاف وتقديس الحرّيّة، والحرص على أداء الواجبات بقدر الحرص على نيل الحقوق... إنسان جديد ذي فكر نقديّ، منخرط في العالم الحديث ونمط عيشه من أفق خصوصيته الحضاريّة. وبهذا وحده يكون العمل الثقافيّ بحقّ "الفأس التي تكسر البحر المتجمّد فينا"، كما قال الكاتب التشيكيّ فرانز كافكا عن الكتاب.

إنّ مشروعنا من هذا القبيل يحتاج جهودا متضافرة، وعملا دوّوبا يمتدّ على مدى سنوات طويلة، رهائمه المراكمة والتأسيس القاعديّ للإنسان. وتعدّ مجلّة نقد وتنوير نفسها لبنة يرتفع بها جدار المعرفة والثّقافة المنشودة مع كلّ عدد تخرجه إلى النّاس. ومنها هذا العدد السّابع عشر ترتيبا، والذي تدشّن به المجلّة سنّتها الخامسة.

اشتمل العدد السّابع عشر على ثلاثة وثلاثين عملا بحثيّا، توزّعت بين دراسات وأبحاث ومقالات ومراجعات لكتب... وانفتحت، كدأبها في كلّ عدد، على كبير من مجالات المعرفة، واستلمهم كتابها كثيرا من المقاربات والمناهج الحديثة. يكفي أن نشير على سبيل التّمثيل إلى بعضها:

من الأعمال في الحقل الفلسفي والدّرس الحضاريّ ما بسط البحث في إحدى النّظريّات الفلسفيّة المعاصرة، فتنبّع تطوّرها، وأبرز النّقود التي وجّهت إليها (التفاعليّة الرّمزيّة بُنيّةً ومفهوماً وإشكاليّة رُويّة نقيديّة مُعاصرة)، أو حصر النّظر في مفهوم بعينه عند أحد فلاسفة الغرب المؤثّرين شأن (أكسيولوجيا الحقيقة عند ديكرت: معالم فلسفة بديلة)، و(التفكيكيّة ومضموناتها التّربويّة: قراءة في كتابات جاك دريدا)، و اتّجه بعض الباحثين إلى تمحيص بعض المفاهيم الإشكاليّة عند عدد من المفكّرين، ومن أمثلتها: (الهويّة والنظريّة الاجتماعية في الخيار الديكولوجونياليّ)، و (الحرّيّة في المنظور الليبراليّ: إشكالية حرية الاعتقاد بين "لوك" و"رولز")، و(ثنائية الاعتقاد والفعل: صورتنا عن العالم بحسب ب. ف. ستراونسن)، و(المسؤولية الإيتيقيّة عند إيمانويل ليفيناس)، وطرحت بعض المقالات قضايا أقلّ تجريداً، فوصلت الفلسفة بالفنّ كالبحث في (جماليات الجسد وتوظيفاته في الفن: الفن الكناوي المغربي نموذجاً)، وفي ضرب من محاولة تعقّل الفنّ والنّظر فيه فلسفيّاً، اقترح أحد الباحثين في مقال له وسمه ب(ما لم يقله الفنّ) البحث في علاقة الفنّ والواقع، منطلقاً من إشكاليّة أساسيّة هي: علاقة الفنّ والواقع وحدود الاتّصال والانفصال بينهما.

وفي الدّرس الحضاريّ، عكفت بعض الأعمال على التّصوّف، فكان أن رصدت "طقس" الزيارة الصّوفيّة من منظور تاريخيّ، وتتبع العادات والطقوس فيها، وما لها من دلالات ("زيارة" الضّريح بإفريقيّة مطلع العصور الوسطى)، ونظرت أخرى في ما أصاب التّصوّف من تحولات في الوظيفة من الرّوحي إلى السّياسي الدنيويّ (التّصوّف: من التّكامل الوظيفي إلى الارتهان السّياسي). وتتبع أحد الباحثين (مقومات بطولة النبيّ محمّد في الخطاب الاستشراقيّ)، واتّجه آخر إلى طرح إحدى أخطر قضايا العصر، وهي الإرهاب، وكيفيّة صناعته، ووسم مقاله ب(صناعة التّطرف في خطاب أبي محمد عاصم المقدسيّ من خلال كتابه "وقفات مع ثمرات الجهاد" (الخلفيات والأبعاد)). وجمع أحد الباحثين بين النّظر التاريخيّ والتأمّل الفكريّ في ظاهرة التّرجمة وما لها من دلالات وآثار، فكان مقاله: (التّرجمة والمترجمون في البلاد التونسيّة في القرن التّاسع عشر: جسور لاستكشاف الآخر واقتباس علومه).

وإلى جانب المباحث الفلسفيّة والحضاريّة حفل العدد السابع عشر بمقاربات أدبيّة توزّعت بين التّحليلات النّظريّة والمعالجات التّطبيقيّة، وبين النثر والشّعر قديماً وحديثاً. ومنها مقارنة شعريّة الألم وجمالياته في مقال (شعريّة الألم من خلال نماذج من أشعار الجاهليين) و(دور سيناريو السّكّر والكسر في انسجام المتخيّل السّردي في قصيدة "يا ساحر الطّرف" لأبي نواس)، و(شعريّة الأعلام في "مخطوط تمبكتو"، للمنصف الوهابي قصيدة مسكيلياني مرتكزاً)... وفي الرواية انصرف أحد المقالات إلى دراسة (الفضاء الروائيّ بين الفانتازيا والواقع: فضاءات رواية فرانكشتاين في بغداد لأحمد سعداوي أنموذجاً).

وتمحّضت إحدى الدّراسات إلى المعالجة النّظريّة الصّرف، إذ عمد أحد الباحثين إلى قراءة نقديّة خالصة لبعض المفاهيم، في محاولة لاستنطاقها من مناظير جديدة ومختلفة، تسائل تلك التي استقرّ عليها الدّرس النّقديّ، فكان مقال: (جوليا كريستيفا ومفاهيم النصّ والتّناسخ: قراءة أخرى) الخ...

أما الدّراسات التربويّة والأبحاث الموصولة بالعملية التعليميّة، فقد حُظيت بحيزٍ واسعٍ في هذا العدد. وكان بعضها ذا طابعٍ "تقنيّ" ينشد سبل التّجويد والنّجاعة، فكتب أحدهم في (تحويل القدرة من العربيّة المغربيّة الى اللغة الفصحى لدى تلاميذ السّلك الإعدادي: مقارنة لسانيّة ديداكتيكيّة)، واهتمّ آخر بمجال التّوجيه، فكان مقاله في (بناء الحياة كبراديجم للمواكبة التبصيرية في مجال التّوجيه المدرسيّ: نحو منظور جديد للممارسات التّوجيهية بالمغرب). واهتمّ ثالث بالمدرّس نفسه لما له من أهميّة في العملية التعليميّة، فبحث في (المدرّس والخطاب المهنيّ: الكفائيات بين الحياة الفصليّة والحياة المهنيّة). واختار أحد الباحثين النّظر في موضوع أكثر تخصيصاً، إذ قصره على منهج/ مادة تدريسيّة بعينها هي العروض وكيفية الارتقاء بطرائق تدريسه عبر الاستعانة بعلم حديث هو اللّسانيات، فكان مقاله: (اللّسانيات الحديثة وتدرّس العروض العربيّ بالمغرب، درس الزّحافات في السّلك الثّانوي التّأهيليّ نموذجاً). وتنبّهت إحدى الدّراسات إلى واحدة من أهمّ إشكاليات التّعليم، وهي التّعليم عن بعد الذي يُعدّ ثورة في العالم المعاصر، استثمرت فيها التّكنولوجيات الحديثة وتقنيّات الاتّصال، وما ينبغي أن يصحبها من تشريعات وتغيّرات هيكلية في النّظم الإداريّة التعليميّة. وقد صاغ الباحث عنوان مقاله في شكل سؤال يكاد يُبين عن جوابه، وهو: (التّعليم عن بعد في الوطن العربيّ: ضرورة أم اختيار؟ (في ضوء نتائج دراسة تطبيقية)) الخ...

ومن الدّراسات والبحوث ذات التّزعة القيميّة التربويّة، نذكر مقال: (اللّامساواة المدرسيّة والتّوجيه التربويّ بالمغرب: مقارنة بين تلاميذ البكالوريا الدّولية وتلاميذ البكالوريا المهنيّة، مديرية سيدي قاسم نموذجاً)، وهي دراسة تنطلق ممّا هو تربويّ لتلامس أبعاداً أخرى سياسيّة واجتماعيّة.

وانفتح هذا العدد على بعض المباحث التّاريخيّة، فكان مقال: (الإصلاحات الاقتصاديّة للدّولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي (527-558 هـ/1133-1163 م)). وآخر عن جذور العسكريين اليونان في الجيش العثماني في الإيالة التونسيّة خلال القرن 19م:

(Origines des militaires grecs au sein de l'armée ottomane dans la province tunisienne au cours du XIX ème Siècle).

هذا ما جادت به أقلام باحثين متميّزين كلّ في اختصاصه ومجال نظره، بعد أن غرّبت الأبحاث والدّراسات والمقالات...، ونُقلت على يدي أخصائيّين محكّمين من ذوي الخبرة. فلهم كلّ الشّكر والتّقدير، وللجنة التّدقيق اللّغويّ كلّ العرفان. والشّكر موصول للفريق التّقنيّ ولكلّ من مدّد يد العون نصحاً وتنبهّاً ومشورةً، ليشتدّ عود المجلّة، وترسخ قدمها، ويخرج هذا العدد على أكمل الوجوه، أو أدناها إلى الكمال.

مدير التحرير: د. امبارك حامدي